الشيخ اليوسف: القناعة تجعل الإنسان يعيش حياة طيبة وهانئة وسعيدة

قال الشيخ الدكتور عبدا∏ أحمد اليوسف في خطبة الجمعة 8 جمادى الآخرة 1442هـ الموافق 22 يناير 2021م أن القناعة صفة كريمة، وسجية حميدة، وهي تعرب عن غنى النفس وعزتها، وتبعث على الزهد والعفة والنزاهة والحياة الطيبة الهادئة.

وبيّن أن معنى القناعة هي الاكتفاء بما تيسر من العيش والرزق الحلال، والاقتصار من متاع الدنيا وزينتها وزخرفها بقدر الحاجة والكفاف، وعدم إشغال القلب والبال بما زاد على ذلك، والرضا بما قسم ا□ تعالى له، وشكره عليه.

وأضاف: أن القناعة لا تعني عدم السعي نحو تطوير الذات، وزيادة الدخل، والتوسعة على النفس والعيال؛ وإنما تعني الرضا بما قسم ا∏ للإنسان من رزق ونعم، مع العمل والسعي في طلب الرزق الحلال، مع حمد ا∐ على نعمه ومنحه الكثيرة، وتجنب السخط والطمع والتدمر السلبي.

وقال: إن النصوص الدينية مستفيضة في مدح القناعة، والإشادة بأهل القناعة والكفاف، وفي مقابل ذلك ورد ذم الطمع والجشع أبلغ ذم!

فقد روي عن رسول اللَّـَه ِ صلى ا□ عليه وآله أنه قال: «خ ِيار ُ ا ُمَّـَتي القان ِع ُ، وش ِرار ُه ُم ُ الطامرع ُ» ، وعنه صلى ا□ عليه وآله قال: «خ َير ُ المؤمنين َ القان ِع ُ، وش َرَّ ُه ُم ُ الطام ِع ُ».

وأكد على أن للقناعة آثارا ً إيجابية كثيرة: فهي راحة للنفس، واطمئنان للروح، وصحة للجسم، واعتدال في المزاج، ولذا روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «القَناءَةُ أهنَاُ عَيشٍ» ، وروي عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «القُنوعُ راحَةُ الأبدانِ».

وتابع: القناعة تجعل الإنسان يعيش حياة طيبة وهانئة وسعيدة، فقد سُئلَ الإمامُ عليَّ عليه السلام عن معنى قول َه َ تعالى[: [فَلَاَندُ ح°يرَيدَنَّهُ حَياةً طَيَّيبَةً] ؟ قال عليه السلام: «ه َي القَناءَةُ».

وأشار إلى أن القناعة كنز لا ينفد، لما روي عن رسول اللَّهَ م صلى ا∐ عليه وآله: «القَناعَةُ مالُّ

لا يـَنفَـدُ» ، وروي عن الإمام علي ّعليه السلام أنه قال: «لا كـَنزَ أغنم∐ مرَن القـَناءَة.ِ».

وشدد على أن الإنسان القنوع من أغنى الناس، لأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس لا غنى المال، لما روي عن الإمام علي عليه السلام: «القَناءَةُ تُغني» ، وعنه عليه السلام قال: «طَلَبَتُ الغِنمِ فما وَجَدتُ إِلَّلا بالقَناءَةِ، عليَكُم بالقَناءَةِ تَستَغنُوا».

ولفت إلى أن بعض المشاكل الزوجية اليوم ناشئة من انعدام القناعة بين الزوجين، فعندما لا تقننع الزوجة بما يقدمة الزوج لها من أساسيات الحياة من مأكل ومشرب ومسكن وغيرها وتقارن حالها بحال غيرها تبدأ المشاكل والخلافات تدب في الحياة الزوجية، وكذلك عندما لا يقنع الزوج بزوجته، ويقارن بينها وبين زوجات الآخرين تبدأ المشاكل بين الزوجين بالتفاقم شيئا ً فشيئا ً حتى تفسد الحياة الزوجية بينهما.

وقال الشيخ اليوسف: حتى يكون الإنسان قنوعا ً ويتخلص من داء الطمع والجشع عليه أن ينظر إلى من هو دونه وقيه من هو فوقه، والعاقل من الدونه ولا ينظر لمن هو فوقه، والعاقل من ينظر بتفكر وتأمل في حال الدنيا، فيحمد ال تعالى ويشكره على ما أنعم عليه من نعم كثيرة، ويرضى بما قسم الله في الأفل السبل لجلب السعادة المعنوية والراحة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

وأضاف: الأمر الثاني أن يرضى الإنسان بما يكفيه ليقنع بأيسر العيش والكفاف؛ فالقانع مكتفٍ وراضٍ ما رزقه ا□ وإن كان كثيراً؛ ولذا فالقانع بالكفاف أسعد حالاً وأفضل حياة من الطامع الذي يعيش القلق والاضطراب والخوف حتى يقضي على نفسه بنفسه، وكما روي عن الإمام علي عليه السلام: «لا يُلفَيِيا الحَرِيصُ مُستَريحاً».

وتابع: الأمر الثالث: إن لم تكن قنوعا ً أله ِم° نفسك القنوع، ودر ّبها على القناعة حتى تتحول إلى صفة ذاتية في شخصيتك، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أله ِم° نفس َك َ القُنوع َ».

ثم تطرق الشيخ اليوسف إلى مساوئ الطمع العديدة قائلاً: إن الطمع يقود صاحبه إلى الطبع والهلاك، لأن الطمع مفتاح كل سيئة ورأس كل خطيئة، وهو صفة ذميمة وسجية سيئة، فقد روي عن الإمام علي الهادي ّ عليه السلام أنه قال: «الطّ َمـَع ُ سـَجِيـ ّ َة ٌ سـَي ّ ِئـَة ٌ ».

ودعا في نهاية خطبته إلى التحلي بصفة القناعة في العيش، والتخلص من الطمع والجشع والحرص على

الدنيا؛ لأن القناعة من أسباب السعادة والراحة بينما الطمع من أسباب الشقاء والتعاسة.